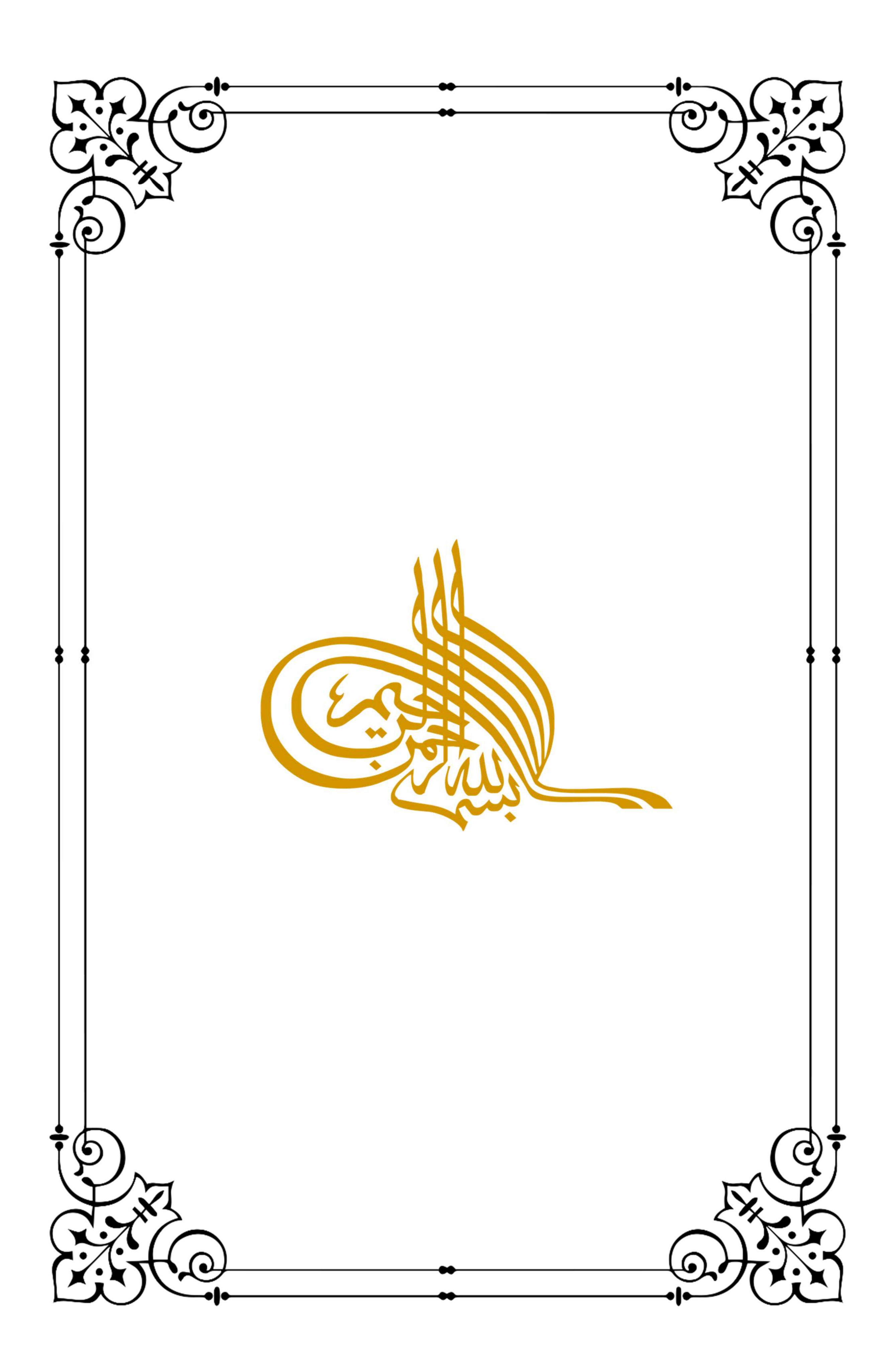


جمع وإعداد

هيفاء بنت عبدالله الرشيد





مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

لما امتنع إبليس من السجود لآدم طرده الله من السماء، وحقت عليه لعنة الله إلى يوم القيامة، فقال الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر:٣٤-٣٥]، ثم سأل الله أن ينظره إلى البعث فأنظره الله: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤-١٥]

فلما أمِنَ إبليس من الهلاك تمرد وطغى وعاند: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف١٦-١٧].

ولما قال إبليس ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٦٣-٦٥].

ومن هنا أعلن الشيطان عن عداوته لبني آدم، فبدأ يزين لهم المعاصي، ويغريهم بالمحرمات والخبائث، ويأمرهم بالسوء والفحشاء، فانخدع بذلك أكثر الناس، ووقعوا في تلك المعاصي والمحرمات: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠].

وكل ما يقع بين بني آدم من الكفر والقتل، والعداوة والبغضاء، وانتشار الفواحش والزنا، وتبرج النساء، وشرب الخمور، وعبادة الأصنام، واقتراف الكبائر، فذلك كله من عمل الشيطان، لماذا؟ ليصد عن سبيل الله، ويفسد الناس، ويجرهم معه إلى نار جهنم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

وقد حذرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من السير خلف الشيطان واتباع خطواته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور:٢١].

وإذا أعرض الإنسان عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ تولاه الشيطان وجره إلى الفساد والطغيان:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣].

وكل من أعرض عن الله جَلَّ جَلَالُهُ وسار خلف الشيطان؛ فإنما يهلك نفسه، وخسر دنياه وآخرته: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩].

ولما كانت عداوة الشيطان للإنسان ظاهرة بينة؛ أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالحذر منه، وإعلان الحرب عليه، ونصب العداوة له، فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

أولاً: لماذا التحذير من الشيطان؟

لأنَّ الشيطان قد حشَد جنودَه وأتباعه من الإنس والجن، وجهَّز أسلحته، ونظَّم صفوفه، وأعدَّ عدَّته، وتأهَّب للاستِعداد مِن أجْل مهمَّة محدَّدة وهدف واضِح؛ وهو إغواء وإضلال المؤمنين.

لأنَّ الشيطان كان سببًا في إخراج أبينا آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من دار النَّعيم إلى دار الشَّقاء والابتِلاء.

لأنَّ الشيطان أقسَمَ بعزَّة الله أنْ يغوي البشَر أجمعين: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

لأنَّ الشَّيطان أقسم أن يتحكم بالمؤمنين ويسيِّرهم كيفما يَشاء: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٦٢].

لأنَّ المعركة مع الشيطان شرسة، قديمة منذ بداية الخلق، منذ رفَض إبليس السجودَ لآدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ واستكبر، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص:٧٦].

لأنَّ الانتِصار في هذه المعركة يعني: الخلود في جنَّات النَّعِيم، ونيل رضا الرحمن الرحيم، أمَّا الهزيمة فإلى جهنَّم وبئس المصير.

لذلك كان لا بُدَّ لنا مِن وقفة نُحدِّد فيها غاية الشَّيطان وأهدافه ومداخله ووسائل مُواجَهته.

ثانياً: أعداء النفس البشرية

المرء في هذه الحياة في صراع وجهاد مع أعداء ثلاثة؛ هم: الهوى، والنفس، والشيطان، ولابد أن يكون على استعداد لمواجهة كل عدو بما يناسبه.

العدو الأول: الهوى:

الهوى: هو مَيل النفس إلى الشيء، وميل الطبْع إلى ما يُلائمه، وسُمِّي: هوى؛ لأنه يَهوي بصاحبه(١).

وقد جاءت الأدلة الشرعية بالنهي عن اتباع الهوى، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾: "**أَيْ: مَهْمَا اسْتَحْسَنَ مِنْ شَيْءٍ وَرَآهُ حَسَنًا فِي هَوَى نَفْسِهِ، كَانَ دينَه ومذهبَه، كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾"(٢).

والمعاصي والبدع إنما تقع من تقديم هوى النفس على محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وكذلك البدعُ، إنَّما تنشأ من تقديم الهوى على الشَّرع، ولهذا يُسمى أهلُها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي، إنَّما تقعُ من**

(١) انظر: ذم الهوى لابن الجوزي (ص١٢)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (ص٨٢٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/١١٣).

تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يُحبه"[١].

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ الْبِدَعِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ لِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَلَمْ يَأْخُذُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَأْخَذَ الِافْتِقَارِ إِلَيْهَا، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْهَا، بَلْ قَدَّمُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَاعْتَمَدُوا عَلَى آرَائِهِمْ، ثُمَّ جَعَلُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَنْظُورًا فِيهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ"**[٢].

واتباع الهوى يُعمي صاحبه ويُصمُّه، يُعمي عن النظر في الحق، ويُصمُّ عن سماعه؛ لأن الهوى قد سيطر على البصر والسمع، وأصبح هو المتحكم بهما.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: "**أَيْ: إِنَّمَا يَأْتَمِرُ بِهَوَاهُ، فَمَهْمَا رَآهُ حَسَنًا فَعَلَهُ، وَمَهْمَا رَآهُ قَبِيحًا تَرَكَهُ...** ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾، **أَيْ: فَلَا يَسْمَعُ مَا يَنْفَعُهُ، وَلَا يَعِي شَيْئًا يَهْتَدِي بِهِ، وَلَا يَرَى حُجَّةً يَسْتَضِيءُ بِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ:** ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾"[٣].

واتباع الهوى له أسباب، منها:

١. مجالسة أهل الأهواء والبدع ومصاحبتهم، لأنه لابد أن يتأثر بهم، ولذلك كان السلف يحذرون من هذا الأمر، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "**لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ**"[٤]، وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "**إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ**"[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم (صـ٨٢٨).
(٢) الاعتصام (٢/٦٨٣).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/٢٦٨).
(٤) الشريعة للآجري (١/٤٥٢).
(٥) المرجع السابق (١/٤٥٩).

٢. الحصول على كل ما تشتهيه النفس من المباحات، فإن النفس إذا تعودت على أخذ المباحات؛ فإنها تصبح ضعيفة أما المحرمات.

٣. حب الدنيا والتعلق بها، لأن من أحب الدنيا يصبح عنده سعي كبير ليحصل على كل ما يشتهيه، حتى وإن كان مخالفاً للشرع، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧-٨].

٤. الجاه والمنزلة في المجتمَع؛ فالبعض يحرص على هذه الأمور، ويريد أن يحافظ عليها، فيَرتكب بعض المنهيات للحفاظ على هذه المنزلة، فإذا نصحه أحد لا يقبل؛ لأنه يرى أن استماعه لما يوجه إليه يقلّل مِن منزلته في عيون الآخَرين، فيَحمله ذلك على اتِّباع الهوى، مع معرفته ويقينه أن ما هو عليه باطل.

٥. الاغترار بالعلم؛ فبعض المتعلمين قد يميل إلى مسألة مرجوحة، فيقابله آخر بدليل راجح، وقد يكون من تلامذته أو أصغر سناً منه، فيغضب المتعصب لرأيه حفاظاً على سمعته، وهذا مِن البلوى لدى كثير مِن المتعلِّمين، مع أن مِن ثمرات العلم قَبولَ الحق ممن جاء به، بصرف النظر عن منزلته؛ فالحِكمة ضالَّة المؤمن يأخذها أين وجدها.

فلابد من الحذر من اتباع الهوى، والمرء يجعل هواه دائماً ومزاجه وفق الشرع، قبل أن تتصرف بأي أمر لا تقل: يا هواي ماذا تريد؟! بل قل: يا رب ماذا تريد؟ ماذا قال الرسول في هذه المسألة؟ ماذا قال الشرع في هذا الأمر؟ فإن قال شيئاً، فقل: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ولا يسعك أمام أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأمام أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا أن تقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

تقول يا فلانة تحجبي، فتقول: قلبي نظيف. يا فلان أطلق لحيتك، فيقول: الإيمان في القلب. يا فلانة لا تسمعي الأغاني، فنقول: أسمعها من هنا وتخرج من هنا.

هذا والله اتباع الهوى، وتقديم هوى النفس على أمر الرب جَلَّ جَلَالُهُ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف:٢٨]، إذا اتبع العبدُ مولاه انتظم أمرُه، وإذا اتبع العبدُ هواه انفرط، وعَبَّر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن أمره بأنه فُرُط، أي: غير مجموع، مشتت، مثل المسبحة إذا انفرط حبلها، كيف تكون؟! أتظل معك في يدك، أم أين تذهب؟! تتشتت، وتذهب كل حبة في مكان.

كذلك إذا كنتَ مجتمعاً على الشرع والدين، منتظماً مع الله، عينك وأذنك ولسانك وقلبك مع الله، رجلك تمشي في طاعة الله، يدك تبطش في طاعة الله، مع المسجد، مع الكتاب، ستمشي منضبطاً؛ لكن إذا لم يكن معك دين، وليس ثَمَّ إلا الهوى، فلا تدري من هو الذي أنت معه، مرة مع الشيطان، ومرة مع الشرق، ومرة مع الغرب، ومرة مع الأبالسة، ومرة مع المغنين، ومرة مع الشياطين، لماذا؟! لأن الأمرَ فُرُطٌ، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.

العدو الثاني: النفْس:

ومِن الأعداء التي تَعترض العبد في هذه الدنيا :النفس التي بين جنبَيه وداخل كيانه.

والنفس لها ثلاث صفات: مطمئنة، ولوَّامة، وأمارة بالسوء.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: **"والنفس قد تكون تارة أمّارةً، وتارة لوامةً، وتارة مطمئنةً، بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها هذا وهذا وهذا، والحكم للغالب عليها من أحوالها، فكونها مطمئنةً وصفُ مدحٍ لها، وكونها أمّارةً بالسوء وصفُ ذمٍّ لها، وكونها لوامةً ينقسم إلى المدح والذم، بحسب ما تلوم عليه"**[١].

أما النفس المطمئنة: فهي النفس التي تجد أمنها وسكينتها مع ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ،

---

(١) إغاثة اللهفان (١/١٣١).

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يَعْنِي: "**الْمُخْبِتَةَ الْمُطْمَئِنَّةَ إِلَى رَبِّهَا**"(١).

وعن مقاتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يعني: " **الْمُطْمَئِنَّةَ بِالإِيمَانِ**"(٢).

وعن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ **هُوَ الْمُؤْمِنُ اطْمَأَنَتْ نَفْسُهُ إِلَى مَا وَعَدَ اللهُ**"(٣).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: "**الْمُطْمَئِنَّةُ الَّتِي أَيْقَنَتْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهَا وَصَبَرَتْ جَأْشًا لِأَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمُؤْمِنَةُ الْمُوقِنَةُ. وَقَالَ عَطِيَّةُ: الرَّاضِيَةُ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ الْآمِنَةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَقِيلَ الْمُطْمَئِنَةُ بِذِكْرِ اللَّهِ**"(٤).

فالنفس المطمئنة هي النفس الساكنة الموقنة بالإيمان وتوحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي نفس مؤمنة آمنة، لأنه لا يوجد نفس أكثر اطمئناناً من نفس المؤمن، فنفسه طيبة مطمئنة، راضية بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تسخط عند المصائب والابتلاءات، شاكرة لنعم الله عليها.

وأما النفس اللوَّامة: هي النفس كثيرة اللوم، تخافُ الله وتخشى عقابه، أثنى عليها الله، وأقسم بها في كتابه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١-٢]، وهي نفسٌ تحاسب صاحبها كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، وهذه النّفس متقلّبةٌ، متردّدةٌ، تفعل الذّنب وتلوم صاحبها عليه، وتردّه إلى صوابه، تغفل عن الذّكر وعن الطاعة ثمّ تعود.

---

(١) تفسير مجاهد (ص٧٢٨).
(٢) تفسير مقاتل (٤/٦٩٢).
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٤٢٣).
(٤) تفسير البغوي (٥/٢٥٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفها: **"وَهِيَ الَّتِي تُذْنِبُ وَتَتُوبُ، فَعَنْهَا خَيْرٌ وَشَرٌّ، لَكِنْ إذَا فَعَلَتْ الشَّرَّ تَابَتْ وَأَنَابَتْ فَتُسَمَّى لَوَّامَةً؛ لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الذُّنُوبِ"**(١).

وقيل: هي النفس التي تلوم على الخير والشر، وهذا عند من اعتبر النفس اللوامة صفة للنفسين الأخريين، المطمئنة والأمارة بالسوء، فالنّفس المطمئنّة توبّخ صاحبها إذا تكاسل عن طاعةٍ، أو نسي فرضاً، أو عمل سوءاً، وأما النفس الأمّارة بالسّوء تلومه إذا عمل خيراً أو أدّى فرضاً.

النفس الأمارة بالسوء: هي النفس التي تأمر صاحبها بكل سوء، تأمره باللذات والشهوات واتباع الهوى، وهي التي توسوس لفعل الشرور، والاتصاف بالأخلاق الذميمة، وارتكاب الذنوب والآثام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَأما النَّفس الأمارة فَهِيَ المذمومة فَإِنَّهَا الَّتِي تأمر بِكُل سوء وَهَذَا من طبيعتها إِلَّا مَا وفقها الله وثبتها وأعانها فَمَا تخلص أحد من شَرّ نَفسه إِلَّا بِتَوْفِيق الله لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى حاكيا عَن امْرَأَة الْعَزِيز:** ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ "(٢).

والنفس الأمارة بالسوء قرينة الشيطان، فهو يزين لها الباطل، ويحبب إليها الشهوات، ويأمرها بكل أنواع المعاصي والمحرمات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَأما النَّفس الأمارة فَجعل الشَّيْطَان قرينها وصاحبها الَّذِي يَليهَا فَهُوَ يعدها ويمنيها ويقذف فِيهَا الْبَاطِل ويأمرها بالسوء ويزينه لَهَا ويطيل فِي الأمل ويريها الْبَاطِل فِي صُورَة تقلبها وتستحسنها ويمدها بأنواع الْإِمْدَاد الْبَاطِل من الْأَمَانِي الكاذبة والشهوات الْمهْلكَة ويستعين عَلَيْهَا بهواها وإرادتها فَمِنْهُ يدْخل عَلَيْهَا**

(١) مجموع الفتاوى (٩/٢٩٤).
(٢) الروح (صـ٢٢٦).

كل مَكْرُوه فَمَا اسْتَعَانَ على النُّفُوس بِشَيْء هُوَ أبلغ من هَواهَا وإرادتها إِلَيْهِ"(١).

فلذا ينبغي للعبد أن يتسلَّح بسلاح الإيمان القوي للتخلُّص من هذه النفس، ويَحمل نفسه على معرفة الله جَلَّجَلَالُهُ بصفاته وأفعاله وآلائه ومحبَّته وإرادته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والشوق إليه، والأُنسِ به، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وشُكرِهِ على نعمه وآلائه، حتى يكون الله وحده هو محبوبه وإلهه ومعبوده وغاية مَطلبه، وأن يُحقِّق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وعلى العبد أن يُظهِر عجْز نفسه وذلَّها بين يدَي ربِّها الذي خلقها وسوَّاها وأطعَمها وسقاها، حتى تكون نفسه مطمئنَّةً، وحتى يَصدُق فيها قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠]، وذلك بفضْل الله ورحمته ومنّه وكرمه.

اللهم اجعل نُفوسنا مُطمئنَّةً إليك، راغبةً فيما عِندك، مُمتثلةً لأوامِرك، مُجتنِبةً نواهيك، اللهم إنا نعوذ بك مِن شُرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنك حسْبُنا ونِعم الوكيل.

العدو الثالث: الشيطان:

وهو أول عدو، وأخبث عدو، وأسوء عدو للإنسان، ولا شكَّ أن عداوة الشيطان للإنسان قديمة قِدَم الإنسان؛ فهو قد نصَب العداء له منذ أن خلق اللهُ آدمَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بيده، ونفَخ فيه مِن روحه، ثم أمَر الملائكة بالسجود له، فرفض الشيطان أن يسجد؛ حسدًا لآدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

لذا فقد أمرنا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بأن نتَّخذ الشيطان عدوًّا؛ فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

---

(١) المرجع السابق (صـ٢٢٧).

فالشيطان حريص على إغواء العباد، وصدِّهم عن صراط الله المستقيم بكلِّ ما يَستطيع، فما مِن طريق خير إلا ويسدُّه أما العبد، وما مِن طريق شرٍّ إلا ويرغبه فيه، فهو حريص على إيقاع بني آدم معه في النار، فيُزيِّن لهم الكفْر والمعاصي، ويَعِد ويُمنِّي؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال:٤٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:١٦]؛ فالشيطان يَعد ويمنِّي، فإذا وقع العبد في حبائله تخلَّى عنه وتبرَّأ منه.

وأشكال وأساليب عداوة الشيطان للإنسان كثيرة جداً، مثل: الوسوسة، والتحريش وإيقاع العداوة بين المسلمين، والصدُّ عن ذكْر الله، والغضب والشَّهوة، والعجلة وترْك التثبُّت، والشبَع مِن الطعام، والتكاسُل في الطاعات وارتكاب المحرمات، والرفيق السيّء، والبُخل، والحسد، والتعصُّب للهوى والمذاهب، وغير ذلك.

فالعاقل لابد أن يعرف عدوه الذي حذَّره الله منه، فلا يَنخدِع به؛ فهو عدو يوقع في المعصية، ويتبرَّأ ممَّن وقع في فخِّه؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

والعاقل الذي عرف عدوه لا يطيعه في شيء؛ لأنه لا يمكن أن يكون مريداً للخير لك، فمن يتخذ الشيطان صديقاً وهو عدو له فإنه سيدمره تدميراً، ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠]، كيف يمكن

لعاقل أن يتخذ الشيطان صديقاً والله قد حذّر من عداوته؟! قد يُقال: ومتى اتخذته صديقاً؟ أنا لستُ صديقاً للشيطان! وهذا يحتاج لمعيار لتعلم إن كنت صديقاً للشيطان أم عدواً له، كيف ذلك؟! الأمر بسيط، إذا أطعته فأنت صديقه، وإذا عصيته فأنت عدوه، فحينما تأتمر بأوامر الله وتنتهي عن نواهيه فأنت عدو للشيطان، وحينما تعصي الله وترتكب المحرمات فأنت صديقه.

نهاك الله عن الزنا، والشيطان يأمر بالزنا ويأمر بالفحشاء.

نهاك الله عن الخمر، والشيطان يأمرك به.

أمرك الله بالصلاة، والصلاة لا يريدها الشيطان.

أمرك الله بالقرآن، والقرآن لا يريده الشيطان.

فكل أمر لله إذا قمتَ به، وكل نهي لله إذا انتهيتَ عنه فاعلم أنك اتخذت الشيطان عدواً، أما إذا ضيعت أوامر الله ووقعت فيما حرم الله، فاعلم أنك اتخذت الشيطان ولياً من دون الله؛ لأنك أطعته وعصيت الله: يأمرك الله فلا تطيعه، ويأمرك الشيطان فتطيعه! يأمرك الله بالقرآن فلا تسمعه، ويأمرك الشيطان بالأغاني فتسمعها! يأمرك الله بالصلاة فلا تقوم، ويأمرك الشيطان بالنوم عن الصلاة فتنام! يأمرك الله بالبيع الحلال فلا ترضى به، ويأمرك الشيطان بالربا فترضى به!

هذه أوامر الله، وتلك أوامر الشيطان، فانظر أين أنت: هل أنت قائم بأوامر الله وتقف عند نواهيه؟ إذاً: فأنت اتخذت الشيطان عدواً، وهذه سمة وكرامة لك أن تكون عدواً للشيطان. وإذا كان العكس، فإنه صديق للشيطان وهو لا يدري.

فإن قال قائل من الناس: وما أدراني أن الشيطان هو الذي يأمرني أو ينهاني؟! نقول: نعطيك مثالاً لتفهم المراد: إذا أذن المؤذن وأنت نائم على الفراش، فسمعتَ المؤذن، لِمَن يؤذن المؤذن؟! يؤذن لك: حي على الصلاة، أي: أنت يا مسلم قم فصلِّ، في تلك اللحظات يحصل صراع في داخل نفسك بين أن تقوم أو تنام، فإن نمت فهذا مِمَّن؟! مِن

الشيطان، والقيام من الله، فمع من أنت؟ فإن كنتَ قلتَ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واستعذت بالله، وقمت، فقد أعانك الله، وإن قلتَ: لا يزال الوقت مبكراً، فقد أطعت الشيطان، وركب الشيطان على رقبتك، وقال: نَمْ، عليك ليل طويل، إلى أن تفوت الصلاة، فإذا فاتت الصلاة بال الشيطان في أذنك.

ويُقاس على هذا كل أوامر الله، أي شيء تريد أن تنفذه من أوامر الله، وتجد في نفسك تردداً عنه فاعلم أن الشيطان هو الذي ردَّدك، وأي شيء من المحرمات والمعاصي تجد في نفسك تشويقاً إليها فاعلم أنه من الشيطان.

إذاً ماذا تفعل؟! عامله بالضد: إذا خذَّلك عن الصلاة، قُمْ فصَلِّ.

إذا قال: لا تقرأ القرآن، اقرأ القرآن.

إذا قال: لا تذهب إلى حلقة العلم، اذهب إلى حلقة العلم.

إذا قال: لا تتصَدَّق، تصَدَّق.

إذا قال: لا تزُرْ الرحم، اذهب فزُر الرحم.

إذا قال: غَنِّ، لا تُغَنِّ.

فقط اجعل من نفسك عدواً للشيطان، حتى ييأس منك؛ لأنه إذا جرَّب معك المرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة، عرف أنك متحرر منه وضده، فيقول: هذا لا تتعبوا معه، فلا فائدة منه.

فيَنبغي للعبد أن يتسلَّح بسلاح الإيمان، وأن يَكون حَذِرًا مِن هذا العدو في جميع أحواله، وأن يكون متمسِّكًا بكتاب ربِّه جَلَّ جَلَالُهُ وسنَّة نبيِّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ثالثاً: صفات الشيطان وجنسه وقصة خروجه من الجنة

أولاً: تعريف الشيطان لغةً واصطلاحاً:

في اللغة: كل عاتٍ مُتمرّدٍ من الجن والإنس والدواب، وأصله من (شَطَنَ) إذا تباعد؛ وذلك لبعده عن الخير أو رحمة الله تعالى. وقيل: أصله من (شَيَطَ) إذا احترق(١).

وفي الاصطلاح: يراد بالشيطان كل شرير مفسد داع للغي والفساد من الجن والإنس(٢)، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

ثانياً: صفات الشيطان:

١. الضعف:

إنَّ كيد الشيطان ومكره مهما عَظُمَ فهو ضعيف، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يطالب عباده المؤمنين بأن يدخلوا معركتهم مع الشيطان بقلوب موقنة وواثقة، دون خوف من الشيطان وأوليائه ومكرهم، لأن كيدهم ضعيف، ومكرهم زائل.

قال النَّسَفِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ **لا يدَ لَهُ على**

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٨٤)، والمفردات للراغب (صـ٤٥٤).

(٢) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم عبيدات (صـ٤٦٥). وتفسير القرطبي (١/٩٠)، وتفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (١/٥٣).

أنفُسِكم، ولا على أموالِكم، ولا على دينِكم، جبرًا ولا قهرًا، وإنَّما يكون منه تزيينٌ ووسوسةٌ"(١).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فالشيطان في كيده العظيم ضعيف، فإذا كان كيد الشيطان ضعيفًا، فإن هذا يقتضي منا أن نكون أقوياء على الشيطان وإن كنا ضعفاء؛ لأن الشيطان كيده ضعيف، ونحن وإن كنا ضعفاء لكن يجب أن نكون أقوى منه"**(٢).

٢. الكذب:

وهو من أبرز صفات الشيطان، فهو يستخدمه لتسهيل تنفيذ مخططاته، وهو أول وسيلة استخدمها مع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما أقسم له بالله أنه ناصح له ولزوجه حواء بأن يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ*فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ*وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩-٢١].

وكذلك فإن الشيطان يَعِدُ أولياءه بنصرتهم والدفاع عنهم، وبأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى في ذلك، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ **يَعْني بذلك جلَّ ثناؤُه: يَعِدُ الشيطان المريدُ أولياءه الذين هم نصيبُه المفروض أن يَكُونَ لهم نصيرًا ممن أرادهم بسوء، وظهيرًا لهم عليه، يمنَعُهم منه، ويدافع عنهم...ثم قال:** ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ

---

(١) التيسير في التفسير (١١٢/٥).

(٢) تفسير سورة النساء (٢٤٧/١).

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ **يَقُولُ: وما يَعِدُ الشيطانُ أولياءه الذين اتَّخَذوه وليًّا مِن دونِ اللهِ إلا غُرُورًا، يَعْني: إلا باطلًا"**[١].

٣. التكبر:

الكِبر من الأخلاق الرديئة والذنوب العظيمة، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[٢].

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: "**هَذَا الْحَدِيثَ وَرَدَ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ عَنِ الْكِبْرِ الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ عَلَى النَّاسِ وَاحْتِقَارُهُمْ وَدَفْعُ الْحَقِّ**"[٣].

فالكبرياء والعظمة من صفات الرب جَلَّجَلَالُهُ، ولا ينبغي لأحد أن ينازعه في صفة من صفاته.

وقد بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ معنى الكِبر في قوله: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٤].

ومعنى "**بَطَرُ الْحَقِّ**" رفضه وعدم قبوله، وهذا ينافي حقيقة العبودية والانقياد لأوامر الله، والممتنع عن الاستسلام له متكبر، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ومعنى "**غَمْطُ النَّاسِ**": أي أن يستعظم الإنسان نفسه، ويرى أن فيه أحسن الفضائل، فيستهين بالناس، ويترفع عنهم، ويشعر بالعظمة، فينعكس ذلك في سلوكه، سواء في كلامه أو لباسه أو مشيته.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/٥٠٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٧).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٩١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٧).

عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ(١).

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "**فالواجب على المؤمن أن يُجاهد نفسه في التَّواضع وعدم التَّكبر وعدم العُجب؛ لأن العبد على خطرٍ، وقد تغرُّه نفسه، وقد تغرُّه دنياه، وقد تغرُّه وظيفته، فليحذر**"(٢).

والشيطان إمام المتكبرين، حيث ردَّ الحق حين جاءه من رب العالمين، فأعجب بنفسه، ورأى أنه هو الأفضل، ولم يستجب لأمر الله بالسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

واتبع الشيطانَ في نهجه الكثيرُ من المتكبرين، فهذا فرعون أكبر المتكبرين، الذي دفعه إعجابه بنفسه وبقوته وسلطانه أن يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ويقول النمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال كفار قريش: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠]، وأعجبت عاد بقوتها واغترت بسلطانها وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت:١٥].

وكذلك تكبر قوم نوح وثمود وقوم لوط وغيرهم، وكان مصير الجميع الهلاك.

٤. التبذير:

كثير من الناس حينما يسمع كلمة "تبذير" فإنه يتبادر إلى ذهنه أنه كل شيء يُنفَق فوق الحد المعقول، وهذا خاطئ ما لم يضبط بضابط مهم، فالإنفاق نوعان: إنفاق للحق،

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٢١).
(٢) https://cutt.us/oilfO

وإنفاق للباطل، فما كان من إنفاق للحق لا يعتبر تبذيراً مهما كَثُر، وفي هذا يقول مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"لَوْ أَنْفَقَ إِنْسَانٌ مَالَهُ كُلَّهُ فِي الْحَقِّ، لَمْ يَكُنْ مُبَذِّرًا، وَلَوْ أَنْفَقَ مُدًّا فِي غَيْرِ حَقِّهِ كَانَ تَبْذِيرًا"**(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"التَّبْذِيرُ: الْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ"**، وكذلك قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

فكل ما أنفق بغير حق من مال أو وقت أو كلام فهو من التبذير، وهذه صفة من صفات الشيطان وزمرته، أنهم ينفقون دون ملل أو كلل، ولكنها نفقات باطلة.

فمن أنفق ماله في معصية الله وفي غير طاعته كان من إخوان الشياطين وأوليائهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء:٢٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وأما قوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ فإنه يعني: إنَّ المفرّقين أموالَهم في معاصي اللهِ، المُنفقيها في غيرِ طاعتِه، أولياءُ الشياطين"**.

ثالثاً: أوصاف الشيطان:

من صفات الذم التي ورد وصف الشياطين بها:

١. **الرجيم**: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن إبليس بعد رفض السجود لآدم: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:٣٤]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير:٢٥].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الرَّجيمُ تَصلُحُ أن تَكونَ بمَعنى: المَرجومِ، وتَصلُحُ أن**

(١) تفسير ابن كثير (٥/٦٩).

(٢) المرجع السابق.

تَكـونَ بمَعـنى: الـرَّاجِمِ؛ لأنَّ «فعـيلًا» تأتي بمَعـنى «فاعِـل»، وتأتي بمَعـنى «مَفعـولٍ»، وعليـهِ فنَقـولُ: إذا كانَـت بمَعـنى الـرَّاجِمِ، فـالمَعنى: أنَّـه يَـرجُمُ بـني آدَمَ بالمُعاصـي ويَحمِلُهـم عليهـا حَمْلًا، وإذا قُلنا: بمَعنى مَفعولٍ، أي: مَرجومٍ؛ لأنَّه مَطرودٌ بَعيدٌ من رَحمةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ"[١].

٢. المـارد: قـال اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات:٧]، وقـال اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج:٣]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء:١١٧].

قـال ابـنُ جَريـرٍ الطـبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"يَعـني مُتَمَـرِّدًا علـى اللَّهِ في خِلافِـهِ فيمـا أمـرَه بـهِ وفيما نَهاه عَنه"**[٢].

رابعاً: قصة خروجه من الجنة:

بعـد أن خلـق الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمـر الملائكـة بالسـجود لـه، سـجود تكـرم لا سـجود عبـادة، فاسـتجاب جميـع الملائكـة لأمـر الـرحمن تَبَارَكَوَتَعَالَى، إلا إبلـيس رفـض السـجود، وبـدأ كرهـه لآدم وذريتـه منـذ تلـك اللحظـة، رفـض السـجود حقـداً منـه واسـتكباراً، قـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

ومـن هنـا بـدأت أول جريمـة يرتكبهـا الشـيطان بأن خـالف أمـر الـرحمن تَبَارَكَوَتَعَالَى، ويسـأله الـرب جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]، فيجيـب البـائس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص:٧٦].

---

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٢/٤٩).

(٢) تفسير الطبري (٧/٤٩١).

فغضب الله جَلَّجَلَالُهُ على إبليس، وكتب عليه الذلَّ والهوان، تكبر الشيطان، والكبرياء من صفات الرب جَلَّجَلَالُهُ التي لا يرضى أن ينازعه فيها أحد، فما كان من الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا أن قال: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص:٧٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣].

أخرج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الشيطانَ من الجنة، عند ذلك قرر إبليس أن ينتقم من آدم وذريته، وأن يوسوس إليهم ويغويهم حتى يعصوا الله، فيصبح مصيرهم مثل مصيره، لذلك طلب من الرب جَلَّجَلَالُهُ أن يمهله ويؤخِّر أجله إلى يوم البعث ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤]، ولما كانت حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه ممن يطيع عدوه، أجابه لما سأل فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك ولذلك حذرنا منه غاية التحذير وشرح لنا ما يريده منا"**[(١)].

وبعد هذا توعَّد الشيطان بني آدم بأن يزين لهم الدنيا حتى تكون أحب إلى قلبهم من الآخرة فينقادون فيها إلى كل معصية، كما توعدهم أن يصدهم عن الصراط المستقيم، وأن يأتيهم من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق، حتى يتمكن من الوصول إلى غايته الخبيثة: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

وفي موضع آخر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٣١).

عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٤٢]. أي الذين أخلَصتَهم لعبادتك وعصمتهم مني[١].

(١) انظر تفسير القرطبي (١٥/٢٢٨).

رابعاً: الآيات الواردة في عداوة الشيطان للإنسان

ورد ذكر الشيطان في القرآن الكريم (٧٥) مرة، فيها إخبار عن إضلاله لآدم وحواء، والتحذير من اتباع خطواته، وعن أمره بالفحشاء، والوعد بالفقر، وعن تخبط ابن آدم بالمسّ، وفي التعوّذ منه، واستذلاله للمؤمنين بسبب بعض ذنوبهم، وتخويفه لأنصاره وأوليائه، وذمّ صحبة الشيطان، وعن عزمه واجتهاده في إضلال بني آدم، والأمر بمقاتلة أولياء الشيطان، وعن كيد الشيطان، ووصفه بأنه ضعيف على الرغم من تنوعه وضرره، وعن كون الخمر والأنصاب والأزلام من عمل الشيطان، وعن وسوسة الشيطان، وتحقق عداوته، والتحذير من فتنته، وعن نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته، وعن تحذير إبراهيم لأبيه من اتخاذ الشيطان ولياً، وعن تحقق خسارة حزب الشيطان، وعن مصاحبة الشيطان للذي لا يذكر الله، وعن كون المبذرين إخوان الشياطين، وعن كون مصابيح السماء فيها رجوم للشياطين المسترقة للسمع.

ومن الآيات التي ذكرت عداوة الشيطان للإنسان:

- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩].
- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف:٥].
- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

- ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

- ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

- ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

خامساً: أسباب عداوة الشيطان للإنسان

١- الاستكبار وعدم السجود:

إن امتناع إبليس عن السجود لأدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان تكبراً منه، وثار الحقد والحسد في نفسه على أبي الشر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ*فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ*إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ*قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ*قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨-٣٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان استكبار إبليس: "**فَكَأَنَّهُ كَرِهَ السُّجُودَ فِي حَقِّهِ وَاسْتَعْظَمَهُ فِي حَقِّ آدَمَ، فَكَانَ تَرْكُ السُّجُودِ لِآدَمَ تَسْفِيهًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ...وَكَانَ بَدْءَ الذُّنُوبِ الْكِبْرُ، ثُمَّ الْحِرْصُ حَتَّى أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ الْحَسَدُ إِذْ حَسَدَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ**"(١).

فكان الكبر سبب خذلان الشيطان وسقوطه في الهاوية، لأن الكبر ينحرف بصاحبه عن طريق الحق، ويصرفه عن اتباع الصراط المستقيم.

وبسبب ذلك أخذ اللعين يجتهد لإيقاع الإنسان فيما وقع فيه من الكبر والاستعلاء على أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٩٦).

٢- تكريم بني آدم:

من فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على آدم وذريته أن ميزه وكرمه على سائر خلقه، فخلقه الله جَلَّ جَلَالُهُ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وعلمه أسماء كل شيء، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧١-٧٥].

وجاء ذكر هذه التكريمات لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حديث الشفاعة، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ؟! خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ؛ شَفِّعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا...**» الحديث(١).

فهذه التكريمات والتخصيصات لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دون غيره من خلقه، كانت سبباً رئيساً في إثارة نار الحقد والحسد في نفس عدو الله إبليس على آدم وذريته، فأعلن عداوته، حيث قطع على نفسه عهداً أن يُهين الإنسان ويحطَّ من قدره، وذلك بدعوته إلى كل فاحش من القول والعمل، وتزيين كل باطل وقبيح.

ولقد صرح إبليس بهذا السبب الذي أثار نار الحقد والعداوة في نفسه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٦١-٦٢].

إذن إبليس يسعى جاهداً إلى تحطيم هذا الإنسان الذي كرمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بكل

---

(١) متفق عليه.

ما يستطيع من وسائل الإغواء والإضلال والتزيين.

٣- كفره ومعصيته:

يعتبر الشيطان رأس الكفر وزعيم الكافرين، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بكفره في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وأراد إبليس أن يسري هذا الكفر في بني آدم؛ كي يحطَّ من كرامتهم، ويخرجهم من رحمة الله إلى غضبه وعقابه، ويجعل مصيرهم جهنم وبئس المصير.

فالكفر هو أول ما يدعو الشيطان إليه بني آدم، عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ. ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ**...» الحديث[(١)].

فالشيطان يقعد في لابن آدم في طرق هديه وصلاحه، ويوسوس له ليمنعه من السير فيها، فيقعد له في طريق الإسلام ليمنعه من ذلك، وينكر عليه إسلامه مخالفاً دين آبائه، ويقعد له في طريق الهجرة ليمنعه منها، ويعظم له من أمر موطنه، ويصوّر له أن المهاجر في الغربة كمثل الفرس المقيد، لا يعرف أحد ولا يخالطه أحد، وهذا من وسوسة الشيطان وتخويفه للمؤمن؛ فيذكره بالمتاعب والمشاق الناتجة عن هذه الهجرة، ويقعد له في طريق الجهاد، ويصوّر له الجهاد على أنه إرهاق وتعب وضياع للمال، وأن نتيجة هذا الجهاد هو القتل، وأن زوجته تتزوج من بعده، ويقسم ماله بين الورثة، وكل هذا ليوصله إلى الكفر، ويخرجه من دين الإسلام.

---

(١) رواه النسائي في سننه برقم (٣١٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٦٥٢).

ويحـاول الشـيطان أن يـزرع في نفـس الإنسـان الأفكـار الرديئـة، حـتى يشـككه بربـه، ثم يقـع في الكفـر بـه -والعيـاذ بالله-، عـن أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّـيْطَانُ أَحَـدَكُمْ فَيَقُـولُ: مَـنْ خَلَـقَ كَـذَا مَـنْ خَلَـقَ كَـذَا حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(١).

قـال ابـن القـيم رَحِمَهُٱللَّهُ عنـد ذكـر أجنـاس الشـر الـتي يـدعو إليهـا إبلـيس: "**الشـر الأول: شـرُّ الكفـر والشـرك ومعـاداة الله ورسـوله، فـإذا ظفـر بـذلك مـن ابـن آدم بَـرَد أنينُـهُ، واسـتراح مـن تعبـه معـه، وهـو أوَّلُ مـا يُريـده مـن العبـد، فـلا يـزالُ بـه حـتى ينالَـهُ منـه، فـإذا نال ذلـك منـه صَـيَّرَهُ مـن جنـده وعسـكره، واسـتنابه علـى أمثالـه وأشـكاله، فصـار مـن دعـاة إبليسَ ونوَّابه**"(٢).

فهـذا العـدو الخبيـث جمـع كيـده، وحشـد جنـده؛ لإضـلال بـني آدم وإيقـاعهم في الكفـر والشـرك بالله جَلَّجَلَالُهُ، فهـو لا يريـد لهـذا المخلـوق أن يوحـد خالقـه، بـل إنـه يتقطـع حسـرة وندامـة إذا رأى العبـد في طاعـة ربـه، حـتى لـو سـجد لله سـجدة واحـدة، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا قَـرَأَ ابْـنُ آدَمَ السَّـجْدَةَ، فَسَـجَدَ اعْتَـزَلَ الشَّـيْطَانُ يَبْكِـي يَقُـولُ: يَا وَيْلَـهُ -وَفِي رِوَايَـةِ أَبِي كُرَيْـبٍ: يَا وَيْلِـي- أُمِـرَ ابْـنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ، فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**»(٣).

٤- طرده من رحمة الله:

أُمِـر إبلـيس بالسـجود لآدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مـع الملائكـة، لكنـه امتنـع عـن الامتثـال لأمـر الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، فكانـت العاقبـة أن طـرده مـن جنتـه وأبعـده مـن رحمتـه، فحلَّـت عليـه لعنـة الله وغضـبه، قـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ

(١) متفق عليه.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٩٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٣٣).

الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ عَامَلَ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ حَيْثُ كَانَ قَصْدُهُ التَّعَاظُمَ وَالتَّكَبُّرَ، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ صَاغِرًا حَقِيرًا ذَلِيلًا، مُتَّصِفًا بِنَقِيضِ مَا كَانَ يُحَاوِلُهُ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْعَظَمَةِ**"[١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ۖ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جل ثناؤه عن إحلالِه بالخبيثِ عدوِّ اللَّهِ ما أحَلَّ به مِن نِقْمتِه ولعنتِه، وطردِه إياه عن جنتِه، إذ عصاه وخالَف أمرَه، وراجَعَه مِن الجوابِ بما لم تَكُنْ له مراجعتُه به**"[٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر:٣٤-٣٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**اسْتَحَقَّ هَذَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ اسْتَلْزَمَ تَنَقُّصُهُ لِآدَمَ وَازْدِرَاؤُهُ بِهِ وَتَرَفُّعُهُ عَلَيْهِ مُخَالَفَةَ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، وَمُعَانَدَةَ الْحَقِّ فِي النَّصِّ عَلَى آدَمَ عَلَى التَّعْيِينِ، وَشَرَعَ فِي الِاعْتِذَارِ بِمَا لَا يُجْدِي عَنْهُ شَيْئًا**"[٣].

فكان طرده من الجنة وهبوطه إلى الأرض سبباً من أسباب عداوته لبني آدم وحقده عليهم، وأخذ على نفسه عهداً مؤكداً أن يجتهد كل الاجتهاد في صرف بني آدم عن دخول الجنة.

---

(١) أضواء البيان (١٠/٢).

(٢) جامع البيان (١٠١/١٠).

(٣) البداية والنهاية (١٧٠/١).

سادساً: مداخل ووسائل الشيطان في إغواء الإنسان

من الأمور المهمة التي لابد منها أن يتعرف المسلم على مداخل الشيطان، والتي من خلالها يزين له المعاصي، ويبعده عن ربه، ويجعله يتعلق بالدنيا وينسى الآخرة؛ حتى ينجو من مصايده، ويهرب من أسره، ومن هذه المداخل:

١- حب الدنيا وطول الأمل:

حب الدنيا والتعلق بها والانغماس في شهواتها وملذاتها من أعظم مداخل الشيطان؛ فهو يزين للمرء الدنيا حتى ينسى أنها دار ممر، فيتعلق قلبه بها، ويصبح من الصعب عليه مفارقتها، لدرجة أنه لا يفكر بالموت من شدة تعلقه بها، وإن فكر بالموت وسوس إليه الشيطان قائلاً: عش شبابك، فمازالت الأيام أمامك، وما يشعر إلا والأيام تمضي يوماً بعد يوم، وفجأة يأتي الموت، ثم الحسرة والندامة.

وقد حذرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من التعلق بالدنيا، وبيَّن لنا بأن زينتها وزخارفها زائلة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

هذه الدنيا إذا تعلق قلب المرء بها وبما فيها من أموال أو زوجة أو أولاد أو منصب أو جاه؛ أفنى عمره من أجل طموحات وآمال دنيوية، فيطول أمله، ويؤخر توبته، وينسى آخرته، فيقسو قلبه، فيصبح إضلاله وإغواؤه من أسهل ما يكون للشيطان.

لذلك أوصانا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن نتعامل مع هذه الدنيا معاملة من

يفارقها، فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»[١].

فمن تيقَّن بأن الدنيا زائلة، والموت قريب، وأن يوم القيامة إما جنة وإما نار؛ فلن تكون الدنيا أكبر همه، ولن يتعلق قلبه بها، ولن يكون هناك حظ للشيطان في إضلاله.

٢- تزيين الأعمال الفاسدة والمحرمة:

ويقوم بذلك بالتدريج، خطوة خطوة، فهو لا يأمر بالشر أو ينهى عن الخير مباشرة، يبدأ مع الإنسان بصغائر الأمور وينتهي به في كبائرها، لذلك نهانا الله تَبَارَكَوَتَعَالَى عن إتباع خطوات الشيطان، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨].

وخطوات الشيطان يعني: مسالكه ومذاهبه[٢]، وقيل: وساوسه[٣].

وقال مقاتل رَحِمَهُٱللَّهُ: "**خُطُواتِ الشَّيْطانِ: يعني تَزْيِينَ الشَّيْطَان**"[٤].

فهو يقوم بتزيين الأعمال المحرمة، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥].

ومعنى ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زيَّن لهم[٥].

فهو يحسِّن لهم القبائح ليروها محاسن، وهذا الذي جعل أهل الذنوب والمعاصي أسرى لذنوبهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٥٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٠٦/١٢).
(٣) انظر: تفسير النسفي (٤٩٥/٢).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١٩٢/٣).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨١/٢٢).

فهو يزين فقط، كما زين الشجرة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخبره بأن من يأكل منها فإنه يصبح خالداً، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

يزين فقط، ولا يمسك بالمرء لكي يقع في المعصية؛ يعني ما يضع في الجيب علبة السجائر، أو في الهاتف المقاطع المحرمة، وإنما يزين هذه المحرمات حتى يقع فيها؛ ولذلك يقوم خطيباً يوم القيامة، ويتبرأ ممن أغواهم وأضلهم؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣- الغضب:

الغضب مدخل عظيم من مداخل الشيطان، وهو الجمرة المشتعلة التي يقذفها الشيطان في قلب المرء، فإذا نجح في ذلك يبدأ يلعب به كما يلعب الصبي بالكرة، فالغضب مفتاح كل شر، لذلك عندما جاء رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال له: أوصني، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[(١)].

فمن وجد في نفسه الغضب ولا يقدر أن يسيطر على نفسه، فليعلم أن هناك شيطانٌ يسيطر عليه، فلابد وقتها من تنفيذ وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»[(٢)].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٦٥).

(٢) متفق عليه.

وهـذه وصـية نبويـة عظيمـة، إن شـعرت بنفسـك وقـد تملكـك الغضـب فاسـتعذ بالله مـن الشيطان الرجيم، لأن هذا مدخل من مداخل الشيطان.

وقـد وعـد النـبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ مـن يمسـك نفسـه ببشـارة عظيمـة، فعَـنْ سَـهْلِ بْـنِ مُعَـاذِ بْـنِ أَنَـسٍ، عَـنْ أَبِيـهِ، أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «**مَـنْ كَظَـمَ غَيْظًـا وَهُـوَ قَـادِرٌ عَلَـى أَنْ يُنْفِـذَهُ، دَعَـاهُ اللَّهُ عَلَـى رُءُوسِ الْخَلَائِـقِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ، حَـتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُـورِ شَاءَ**»(١).

وعَـنْ أَبِي الـدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَـالَ: قُلْـتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، دُلَّـنِي عَلَـى عَمَـلٍ يُـدْخِلُنِي الْجَنَّـةَ قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ**»(٢).

٤- الحقد والحسد:

والحسـد مـن نتـائج الحقـد، فحينمـا يحقـد المـرء علـى أخيـه ينـتج عـن ذلـك الحسـد، والحسد هو: تمني زوال النعمة عن الغير.

وبدايـة معصـية إبلـيس إنمـا كانـت مـن الحسـد، حينمـا حسـد آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ علـى منزلتـه الـتي أكرمـه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بهـا، فـأبى أن يسـجد لـه، فكـان نتيجـة ذلـك أن عصـى الشـيطان ربه وطُرِدَ من رحمة الله.

لـذلك حـذرنا النـبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ مـن الحسـد، فعـن الـزُّبَيْرِ بْـنَ الْعَـوَّامِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ النَّـبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ حَدَّثَـهُ فقَـالَ: «**دَبَّ إِلَـيْكُمْ دَاءُ الْأُمَـمِ قَـبْلَكُمُ الْحَسَـدُ وَالْبَغْضَـاءُ، هِـيَ الْحَالِقَـةُ، لَا أَقُـولُ تَحْلِـقُ الشَّـعَرَ وَلَكِـنْ تَحْلِـقُ الـدِّينَ، وَالَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ لَا تَـدْخُلُوا الْجَنَّـةَ حَـتَّى تُؤْمِنُـوا، وَلَا تُؤْمِنُـوا حَـتَّى تَحَـابُّوا، أَفَـلَا أُنَبِّـئُكُمْ بِمَـا يُثَبِّـتُ ذَلِـكُ لَكُـمْ؛ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٧٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٥٢٢).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/٢٥) برقم (٢٣٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٣٧٤).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٩٥).

ومعنى قوله: "**الحالقة**" أي: تذهب بالدين كما يذهب الموسى بالشعر(١).

٥- الرِّياء:

الـرِّياء هـو أنْ تكـون حريصـاً علـى أنْ يَـراك النـاس وأنـت تُـؤدِّي الطاعـات، وتُسـارِع في الخـيرات، فتجعَـل كـلَّ همِّـك وأنـت تُـؤدِّي أعمـالَ الخـير أنْ يَـراك النـاس، فيمـدَحونك ويحمَدونك.

والـرِّياء محـبطٌ للأعمـال، وهـو مـن الكبـائر، وصـورة مـن صـور الشـرك، وهـو عكـس الإخـلاص، يقـول الله عَزَّوَجَلَّ في الحـديث القدسـي: «**أَنَا أَغْـنَى الشُّـرَكَاءِ عَـنِ الشِّـرْكِ، مَـنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٢).

قـال النـووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَمَعْنَـاهُ أنا غَـنِيٌّ عَـنِ الْمُشَـارَكَةِ وَغَيْرِهَـا، فَمَـنْ عَمِـلَ شَـيْئًا لِي وَلِغَـيْرِي لَمْ أَقْبَلْـهُ، بَـلْ أَتْرُكْـهُ لِـذَلِكَ الْغَـيْرِ، والمـراد: أن عمـل المـرائس باطـل لا ثـواب فِيـهِ وَيأْثَمُ بِهِ**"(٣).

ويُحـذِّرنا النـبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مـن الـرِّياء فيقـول: «**إِنَّ أَخْـوَفَ مَـا أَخَـافُ عَلَـيْكُمُ الشِّـرْكُ الْأَصْـغَرُ**»، قَـالُوا: وَمَـا الشِّـرْكُ الْأَصْـغَرُ يَا رَسُـولَ اللهِ؟ قَـالَ: «**الـرِّيَاءُ، يَقُـولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **لَهُـمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِذَا جُـزِيَ النَّـاسُ بِأَعْمَـالِهِمْ: اذْهَبُـوا إِلَى الَّـذِينَ كُنْـتُمْ تُـرَاؤُونَ فِي الـدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»(٤).

وأوَّل مَـن تُسـعَّرُ بهـم النـارُ يـوم القيامـة ثلاثـة أصـنافٍ مـن البشـر؛ كمـا أخـبر النـبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ(٥): رجـل قاتَـل واستُشـهِد ليُقـال عنـه: شـجاع، ورجـل تعلَّـم العلـم وعلَّمـه وقـرأ القـرآن ليُقـال عنـه: عـالم، وثالـث أعطـاه الله مـن أصـناف المـال كلـه فـأنفق كيـف يَشـاء

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٧/١٨٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٨٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١١٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٥٥٥).

(٥) الحديث في صحيح مسلم برقم (١٩٠٥).

ليُقال عنه: جواد، وكل هذا سببه الرياء.

وللرِّياء أشكال متعددة، منها:

١. أنْ يأتي الشيطان ويقو: اعمَل العمل الفلاني حتى يَراك الناس، وهذا أسوأ أشكال الرِّياء.

٢. افتِعال الإرهاق والتَّعب بسبب العبادة؛ كأن يُقال مثلاً: أنا في غاية التَّعَبِ؛ لقد سهرتُ طول الليل أُصلِّي وأقرأ القرآن

٣. أن يكون الفعل في الأساس لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيرى الناسُ عمله فيفرح بنظَرِهم إليه، فيُحسِّن عبادته ويُجمِّلها من أجل الناس.

ولذلك علَّمنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما نقول حتى لا نقع في مثل هذا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، وَسَأَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتَهُ أَذْهَبَ عنْكَ صِغَارَ الشِّرْكِ وَكِبَارَهُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[١].

٦- البخل والشُّح:

الشيطان يُخوِّف الإنسان من الفقر إذا أنفَقَ في سبيل الله، ويُذكِّره دائمًا بأنَّ زوجته وأولادَه أحوَجُ إلى المال، وأنهم أولَى بذلك؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُخَوِّفُكُمْ بِالْفَقْرِ، وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ، فَإِنَّكَ إِذَا تَصَدَّقْتَ بِهِ افْتَقَرْتَ**"[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو**

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم (٣٧٣١).
(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/٣٣٣).

الشيطان وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم"(١).

فالشيطان هو الذي يمنع الإنسان من الإنفاق، ويحثه على تركه، وأنه بإنفاقه للمال سيكون فقيراً.

وحتى لا يقع المسلم في فخ الشيطان، فقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالإنفاق في سبيله، وبيَّن لنا ثواب ذلك وفضله؛ فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

وحذَّرنا عَزَّوَجَلَّ من ترك الإنفاق: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

٧- احتقار الذنوب:

من مداخل الشيطان أنه يجعل العبد يستصغر ذنبه، فيألف هذا الذنب ويداوم على فعله، ويجعله يظن أن تلك الذنوب تافهة صغيرة سوف يغفرها الله له، فتجتمع عليه الذنوب فيهلك، فيكون حاله كحال أولئك الذين وجدوا ما فعلوه من الذنوب الصغيرة مسجَّلاً في كتابهم يوم القيامة: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا**

---

(١) طريق الهجرتين (٨١٥/٢).

تُهْلِكَهُ»[١].

وسئل ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى "محقرات الذنوب" فقال: "**التي يحتقرها الإنسانُ، يعني: يراها صغيرةً ويجترئ عليها، مثل: سرقة المال القليل الذي لا يُوجب قطع اليد، ومثل: مُلامسة النساء، ومثل: النظر إلى بعض النساء وهن غير محارم، وأشباه ذلك التي ليس فيها وعيد بغضبٍ ولا لعنٍ ولا نارٍ ولا حدٍّ في الدنيا، الجمهور على أنَّ هذه هي الصغيرة المحقّرة**"[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ**»[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ولا يزال يسهل عليه -أي الشيطان- أمر الصغائر حتى يستهين بها. فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالا منه**"[٤].

فإذا يئس الشيطان من إيقاع الإنسان في ارتكاب الكبائر، فإنه يدعوه إلى ارتكاب الصغائر التي إذا اجتمعت على الإنسان ربما أهلكته[٥].

فينبغي على المرء ألا ينظر إلى صغر ذنبه، ولكن ينظر إلى عِظَم من عصى، ولابد أن يعلم أن فرحه بالذنب أشد عند الله من الذنب نفسه، وأن ضحكه وهو يفعل الذنب ولا يبالي بنظر الله إليه أشد عند الله من الذنب نفسه، وحزنه على فوات الذنب إذا فاته أشد عند الله من الذنب نفسه، وحرصه على أن يستر نفسه وهو يفعل الذنب غيرَ مبالٍ بنظر الله إليه أشد عند الله من الذنب نفسه.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٦٧/٣٧) برقم (٢٢٨٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٤٧١).

(٢) https://cutt.us/uTOJf

(٣) رواه أحمد في المسند (٤٠٩/١٤) برقم (٨٨١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٧١).

(٤) التفسير القيم (ص٦٧٦).

(٥) انظر: المرجع السابق.

٨- القنوط من رحمة الله:

يصوِّر الشيطانُ للعبد أن ذنوبه كثيرة، ومعاصيه عظيمة، فكلما بادر بالتوبة والرجوع إلى الله ثم وقع مرة أخرى في الذنب يبدأ الشيطان عمله، فيوسوس له بأنه لا فائدة منه، وأن الله لن يقبل توبته ولن يستجيب له، حتى يقنط من رحمة الله، فيغرق في المعاصي والذنوب، فتكون العاقبة جهنم وبئس المصير.

فينبغي للعبد أن يجاهد نفسه وألا يستجيب للشيطان ووساوسه، وأن يجعل نصب عينيه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وليعلم العبد أن الله يَبسط يدَه بالنَّهار؛ ليتوب مُسِيء الليل، ويَبسط يده بالليل؛ ليتوب مُسِيء النهار، وذلك حتى تَطلع الشمس من مغربها.

فعليه أن يبادر بالتوبة، ويلزم الاستغفار، وألا يفتح باباً للقنوط واليأس أبداً؛ لأنه: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

٩- العمل على إفساد العبادة:

ففي الصلاة مثلاً:

يحرص بدايةً أن يصدَّ العبد عنها ويمنعه من أدائها، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

فإذا وجد عند العبد عزماً على أدائها، فإنه يحرص على التشكيك في الطهارة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ دُبُرِهِ، فَيَمُدُّهَا فَيَرَى أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَلَا**

يَنْصَرِفَنَّ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا»(١).

ثم يحرص على قطع الصلاة وإفسادها، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ**»(٢)، وفي رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ شَيْءٌ. وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْنَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»(٣).

فإذا فشل في هذا أيضاً، فإنه يبدأ بالتلبيس على العبد في صلاته، وذلك بالتشكيك في عدد الركعات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ**»(٤).

ثم يبدأ التشويش في الصلاة، فيُذكِّر المصلي بأشياء كثيرة وهو يصلي.

فإذا فشل في كل المحاولات السابقة فإنه يختلس من الصلاة ولو شيئاً يسيراً، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْتِفَاتِ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ**»(٥).

فعلى العبد أن يتسلح بالإيمان والأذكار حتى يصدَّ الشيطان ويمنعه من الوصول إليه من أي مدخل من مداخله، وسيأتي معنا إن شاء الله الحروز التي تعصم المرء من وساوس الشيطان وإغواءاته.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٨/٤٠٦) برقم (١١٩١٢)، وحسن إسناده محقق المسند.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٠٦).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧١٨).



سابعاً: حروز من الشيطان

إن من أهم ما ينبغي أن يعتني به المسلم في نفسه وفي تربيته لأهله وولده ما يُتحرز به من الشيطان، ويُتقى به شره ووساوسه وكيده، وهذا باب عظيم لا ينبغي للمسلم أن يغفل عنه، بل ينبغي أن تكون عنايته بهذا الأمر عنايةً عظيمة شديدة، ليُكفى شر الشيطان، ويوقى من كيده ووساوسه وأذاه العظيم لبني آدم.

وفيما يلي عشرة حروز مهمة للغاية، ينبغي أن نعتني بها عناية عظيمة؛ فإنها أعظم ما يتحرز به من الشيطان(١):

الحرز الأول: التعوذ بالله منه:

والتعوذ: اعتصام بالله والتجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأعظم شرٍ يُتعوذ بالله منه شر الشيطان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

الحرز الثاني: قراءة المعوذتين:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وقد صح في الحديث عن نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**»، وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بهما كل ليلة إذا أوى إلى فراشه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وصح عنه أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاث مرات في الصباح وثلاث مرات في المساء كُفي من كل شر.

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي عندما يأوي المرء إلى فراشه لينام:

فإنها عظيمة الشأن في الوقاية من الشيطان وطرده وإبعاده من المكان، فقد ثبت في

(١) مستفاد من خطبة: "عشرة حروز من الشيطان" للشيخ عبدالرزاق البدر حفظه الله.

الصحيح عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يدل على أن من قرأهما إذا أوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظا ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة بتمامها:

فإن لها شأناً عجيباً عظيماً للغاية في طرد الشياطين من البيوت، ففي صحيح مسلم عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**».

الحرز الخامس: قراءة الآيتين العظيمتين من خاتمة سورة البقرة:

ففي الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»، أي: من كل شر وسوء، ومن شر الشيطان وشركه.

الحرز السادس: قول "لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير":

فإن هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد من أعظم ما يُتحرز به من الشيطان ويُتقى به شره، ففي الصحيحين عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ**».

الحرز السابع: "أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون":

يقولها المرء حين تسلط الشياطين عليه في منامه فيحصل له بذلك الفزع من تسلطهم، ففي الترمذي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ؛ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**».

الحرز الثامن: البسملة:

أن يقول المرء "بسم الله" في دخوله لمنزله وفي تناوله لطعامه وغير ذلك من أحواله، فإن له في ذلك حفظٌ عظيم من الشيطان، وقد جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبر: (أن الرجل إذا دخل بيته فقال بسم الله، ثم إذا تناول الطعام قال بسم الله؛ قال الشيطان لا طعام لكم ولا مبيت)، والمعنى: أنه إذا لم يُقَل ذلك عند الدخول حصَّل الشيطان بذلك دخولاً للبيت ومبيتاً فيه وتناولاً من الطعام الذي يوضع فيه.

وثبت في الحديث عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلاَءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ**»؛ فالبسملة لها شأن عظيم في التوقي من الشيطان والتحرز من شره العظيم.

الحرز التاسع: أن يحذر المرء من فضول النظر، وفضول الطعام، وفضول الكلام، وفضول المخالطة:

فإن هذه الأربعة مداخل عظيمة للشيطان على الإنسان، فيُتحرز من الشيطان باتقاء الفضول في هذه الأشياء حفظًا للنفس ورعايةً لها واتقاءً للشيطان.

الحرز العاشر: كثرة ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مختلف الأوقات:

فإن الذاكرين لله المكثرين من ذكره جَلَّ جَلَالُهُ ليس للشيطان عليهم طريق: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء:٦٥]، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي يغفل ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، وقد جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبر أن يحيى بن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أوصى قومه بذكر الله قال: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ**».

فهـذه عشـرة حـروز عظيمـة، ينبغـي أن نعتـني بهـا، وأن ننشـئ أولادنا علـى العنايـة بهـا؛ لنُحفظ ونوقى في أنفسنا وأهلينا وذرياتنا من الشيطان الرجيم.

ثامناً: قصص السلف مع الشيطان

أولاً: من قصص الشيطان مع نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

١- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ ثَلَاثًا**»، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ. فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**»[(١)].

في هذا الحديث يقول أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أي: في الصلاة، فسمعناه يقول: "**أعوذُ بِاللهِ منك**"، أي: أعتصم، وأتحصن، وفي هذا إظهار لغاية الخوف والافتقار إلى الله تعالى، والاحتياج إلى دوام فضله وعصمته.

ثم قال: "**أَلعَنُك بلعَنَةِ اللهِ ثلاثًا**"، والمعنى: أسأل الله أن يلعنك بلعنته لك، أو أبعدك عني بإبعاد الله لك.

ثم "**بسط**" أي: مد يده الشريفة كأنه يتناول شيئاً يأخذه من بعيد.

فلما فرغ من الصلاة وانتهى منها، "**قلنا**" -أي: قال الصحابة الحاضرون تلك الصلاة، والسامعون ما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً من التعوذ واللعن لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، أي:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٤٢).

كأنك تتناول شيئاً، قال: "**إنَّ عَدُوَّ اللهِ إبْلِيسَ، جَاءَ بشِهَابٍ**"، أي: شعلة من نار يجعله في وجهي، أي: ليجعل ذلك الشهاب في وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى يحرقه به، فقلت: "**أعُوذُ باللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"، أي: فقلت هذا الدعاء ثلاث مرات؛ تحصناً بالله تعالى، "**ثُمَّ قُلْتُ: ألْعَنُكَ بلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ**"، أي: لا نقص فيه، "الواجبة له المستحقة عليه، ثلاث مرات، "**فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"، أي لم يتأخر عن ما أراده، بل تمادى عليه ثلاث مرات، فقلت هذا الدعاء ثلاث مرات.

"**ثُمَّ أرَدْتُ أخْذَهُ**"، يعني: أنه لما تمادى الشيطان في فعله فلم يتأخر في ثلاث مرات من التعوذ واللعنات أردت أن آخذه.

"**لَوْلَا دَعْوَةُ أخِينَا سُلَيْمَانَ**"، بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]، وهذا مما خص به سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دون غيره من الأنبياء، واستجيبت دعوته في ذلك، ولذلك امتنع نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أخذه، إما أنه لم يقدر عليه بسبب دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو تواضعاً وتأدباً وتسليماً لرغبة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلولا هذه الدعوة "**لأَصْبَحَ مُوثَقًا**"، أي: مربوطاً بسارية من سواري المسجد "**يَلْعَبُ به وِلْدَانُ أهْلِ المَدِينَةِ**".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اعْتَرَضَ الشَّيْطَانُ فِي مُصَلَّايَ، فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ فَخَنَقْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى كَفِّي، وَلَوْلَا مَا كَانَ مِنْ دَعْوَةِ أَخِي سُلَيْمَانَ، لأَصْبَحَ مُوثَقًا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ**»(١).

٢- وعن أبي التيَّاح قال: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ -وَكَانَ كَبِيرًا-: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٥٥٦)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٥٣٩)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (١٤٤/٤).

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ. قَالَ: «**مَا أَقُولُ؟**» قَالَ: «**قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ**»، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١).

في هذا الحديث العجيب يسأل رجلٌ من التابعين -هو أبو التيَّاح- رجلًا من أصحاب النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ -هو عبدالرحمن بن خَنْبَش رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وكان كبيرًا في السن-: ماذا صنع النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ ليلة كادته الشياطين؟

فقال عبدالرحمن بن خَنْبَش رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: إن شياطين نزلت على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ في هذه الليلة من الأودية والشعاب، وكان فيهم شيطان يحمل شعلةَ نارٍ يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، فنزل جبريل من السماء ليخبر النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ من عند الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بما يتحصن به من هؤلاء الشياطين.

فهذا حصن حصين من الشياطين والجن، وهو: "**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ**".

فلابد أن يحرص الواحد منا على مثل هذه الأذكار والحصون، فإذا كان سيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ لم يسلم من تسلط الشيطان اللعين فما بالك نحن؟!

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٤/٢٠٠) برقم (١٥٤٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨٤٠).

ثانياً: قصة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الشيطان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**». فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ سَيَعُودُ**». فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**». فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ- فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ**

لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ». قَالَ: لَا، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

ثالثاً: قصة أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الشيطان:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عليه السلام، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قَالَ: لَا بَلْ جِنِّيٌّ. قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ. فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ. قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**صَدَقَ الْخَبِيثُ**»(٢).

رابعاً: قصة أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الشيطان:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ سَهْوَةٌ فِيهَا تَمْرٌ، فَكَانَتْ تَجِيءُ الغُولُ فَتَأْخُذُ مِنْهُ، قَالَ: فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فَاذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ: فَأَخَذَهَا فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»؟ قَالَ: حَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ: فَقَالَ: «**كَذَبَتْ، وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ**»، قَالَ: فَأَخَذَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَحَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»؟ قَالَ: حَلَفَتْ أَنْ لَا تَعُودَ، فَقَالَ: «**كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ**»، فَأَخَذَهَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِكِ حَتَّى أَذْهَبَ بِكِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فَقَالَتْ: إِنِّي ذَاكِرَةٌ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً برقم (٢١٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦١٠).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٧٣١)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٦٢).

لَكَ شَيْئًا، آيَةَ الكُرْسِيِّ، اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ فَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ، قَالَ: فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»؟ قَالَ: فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ، قَالَ: «**صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ**»[1].

خامساً: ما يستفاد من هذه القصص من أحكام وفوائد:

١- أن الشيطان يستطيع أن يتصوَّر بصورة الإنس، ويمكن للإنسان أن يراه، ولكن الأصل أن الشيطان لا يمكن رؤيته بصورته الأصلية التي خُلقَ عليها، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧].

٢- أن الشياطين يأكلون من طعام الإنس الذي لا يُذكر اسم الله عليه؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»[2].

فقول: "بِسْمِ اللهِ" عند دخول البيت، وعند الطَّعام؛ تَمْنَعُ الشيطان من المبيتِ في المنزل، وتمنعُه من المشاركةِ في الطَّعام والشَّراب.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخاطِبًا إبليسَ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء:٦٤]، والطَّعامُ يَدخلُ في عموم الأموال.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**ذَكَرَ كثيرٌ من المُفَسِّرين: أنه يَدخُلُ في مُشارَكَةِ الشَّيطانِ في الأموالِ والأولادِ؛ تَرْكُ التَّسْمِيَةِ عند الطَّعامِ، والشَّرابِ، والجِماعِ، وأنه إذا لَمْ يُسَمِّ اللهَ**

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٨٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٤٦٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٠١٨).

في ذلك؛ شارك فيه الشَّيطانُ"[١].

٣- أن الجن والشياطين يسرقون؛ لقوله: "جَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ"، ويخدعون ويكذبون؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، وقال له: "تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ".

٤- الأصل في الشيطان هو الكذب، ونادراً ما يَصدُق؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**» صيغةُ مبالغة، أي: من طبيعته وجِبِلَّتِه كثرةُ الكذب.

٥- أن الشيطان قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن، ومع ذلك لا يكون مؤمناً، فهذا الشيطان يقول: إن هذه الآيات تحفظك من الشياطين، فهو يصدُق بذلك لكن هذا التصديق لا يعني أنه يؤمن.

٦- فضل آية الكرسي، وأنها تمنع شياطين الإنس والجن من الاقتراب من المؤمن، خاصة قبل النوم؛ لقوله: "إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ". وهذا الذكر ليس تشريعاً بكلام الشيطان؛ وإنما بإقرار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»، وأما الشيطان فلا سمع له ولا طاعة.

٧- تصديق الصحابة لكلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإيمانهم الشديد بذلك؛ لقولِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ سَيَعُودُ".

٨- في هذه القصة كرامة لأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لأنه أمسك الشيطان وقبض عليه، ولم يستطع الشيطان أن يفر منه، ولذلك قال: "شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ،

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٦١).

فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ"، وفيه دلالة واضحة على قوةِ إيمان أبي هريرة وشدةِ أمانته.

٩- الذكر حصنٌ للمؤمن من الشيطان، وكثرة الذكر تحميه من شياطين الجن والإنس، وأفضل الذكر القرآن، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي.

١٠- حرص أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تعلم العلم والخير؛ لقوله: "دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا" ثم -في المرَّة الثالثة- أطلق الشيطان، قال الراوي: "وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ".

١١- قد يقول قائل نعرف أن الشياطين تصفَّد في شهر رمضان، والقصة حصلت مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلال شهر رمضان؛ والجواب على ذلك: أن من يُصفَّد هم المردة من الشياطين، أما صغارهم وضعفاؤهم فلا يصفدون، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[(١)].

وهذا لا يعني أنه ينعدم تأثير الشياطين تماماً، بل يدل على أنهم يضعفون في رمضان ولا يقدرون فيه على ما يقدرون عليه في غير رمضان.

ويحتمل أن الذي يُغَل هو مردة الشياطين وليس كلهم.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ نَرَى الشُّرُورَ وَالْمَعَاصِيَ وَاقِعَةً فِي رَمَضَان كَثِيرًا فَلَوْ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهَا إِنَّمَا تَقِلُّ عَنْ الصَّائِمِينَ الصَّوْم الَّذِي حُوفِظَ عَلَى شُرُوطِهِ وَرُوعِيَتْ آدَابُهُ، أَوْ الْمُصَفَّد بَعْض الشَّيَاطِينِ وَهُمْ الْمَرَدَةُ لَا كُلُّهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، أَوْ الْمَقْصُودِ تَقْلِيل الشُّرُورِ فِيهِ وَهَذَا أَمْر مَحْسُوس فَإِنَّ وُقُوع ذَلِكَ فِيهِ أَقَلّ مِنْ غَيْرِهِ، إِذْ لا يَلْزَمُ مِنْ تَصْفِيد جَمِيعهمْ أَنْ لا يَقَعُ شَرّ وَلا**

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٢٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٥).

مَعْصِيَة لأَنَّ لِذَلِكَ أَسْبَابًا غَيْر الشَّيَاطِينِ كَالنُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ وَالْعَادَات الْقَبِيحَة وَالشَّيَاطِينِ الإِنْسِيَّة"[١].

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤/١١٤).

تاسعاً: خَنْزَب والصلاة

الخشوع روح الصلاة، وهذا يحتاج من الإنسان أن يفرغ قلبه من الشواغل التي ستلهيه عنها، ولكن الشيطان يتربص بالمسلم في صلاته؛ حتى يسلبه الخشوع ويضيع عليه الأجر في صلاته، وهذه مهمة شيطان خاص اسمه "خَنْزَب".

أولاً: من هو خَنْزَب؟

خَنْزَب: هو اسم للشيطان الذي يأتي المسلم في صلاته ليفسدها عليه، والخَنْزَب في اللغة: قطعة لحمٍ مُنتِنَة(١).

فلا عمل له إلا إفساد الصلاة وتضييع الخشوع، يبدأ عمله مع تكبيرة الإحرام وينتهي مع التسليم، يبقي في قلب المصلي أمور الدنيا التي لم تكن حاضرة في ذهنه قبل الصلاة، فينشغل بها عن صلاته.

وربما أتى إلى بعض المصلين ويشغلهم بأبواب أخرى من الطاعات، كإشغالهم ببعض أمور الدعوة أو المسائل العلمية، وربما لبَّس على بعضهم أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يجهز الجيش في الصلاة، ولا يمكن القياس على هذا.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وَأَمَّا مَا يُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مِنْ قَوْلِهِ: "إنِّي لَأُجَهِّزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ" فَذَاكَ لِأَنَّ عُمَرَ كَانَ مَأْمُورًا بِالْجِهَادِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْجِهَادِ. فَصَارَ بِذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ بِمَنْزِلَةِ الْمُصَلِّي الَّذِي يُصَلِّي صَلَاةَ الْخَوْفِ حَالَ مُعَايَنَةِ الْعَدُوِّ إمَّا حَالَ الْقِتَالِ وَإِمَّا غَيْرَ حَالِ الْقِتَالِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِالصَّلَاةِ وَمَأْمُورٌ بِالْجِهَادِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَ الْوَاجِبَيْنِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ...وَمَعْلُومٌ أَنَّ طُمَأْنِينَةَ**

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٨٣)، ولسان العرب (١/٣٦٧).

الْقَلْبِ حَالَ الْجِهَادِ لَا تَكُونُ كَطُمَأْنِينَتِهِ حَالَ الْأَمْنِ فَإِذَا قَدَّرَ أَنَّهُ نَقَصَ مِنْ الصَّلَاةِ شَيْءٌ لِأَجْلِ الْجِهَادِ لَمْ يَقْدَحْ هَذَا فِي كَمَال إيمَانِ الْعَبْدِ وَطَاعَتِهِ وَلِهَذَا تُخَفَّفُ صَلَاةُ الْخَوْفِ عَنْ صَلَاةِ الْأَمْنِ"(١).

ثانياً: كيف السبيل لطرده؟

يسن للمصلي إذا أحس بوسوسة الشيطان له في صلاته أن يتعوذ بالله منه، ويلتفت برأسه فقط، ثم يتفل عن يساره ثلاث مرات؛ فعن عُثْمَانَ بْن أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا**»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي(٢).

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الالتفات في الصلاة للتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الوسوسة لا حرج فيه، بل هو مستحب عند شدة الحاجة إليه بالرأس فقط؛ لأن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **أمر به عثمان بن أبي العاص الثقفي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لما اشتكى إليه ما يجده من وساوس الشيطان، فأمره أن يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويتعوذ بالله من الشيطان، ففعل ذلك فشفاه الله من ذلك"**(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الْعَبْد إِذَا تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَتَفَلَ عَنْ يَسَارِهِ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ، وَلَا يَقْطَعُ صَلَاتَهُ، بَلْ هَذَا مِنْ تَمَامِهَا وَكَمَالِهَا"**(٤).

والتفل: هو نفخ معه قليل من الريق، فإذا كان نفخاً بلا ريق فهو النَّفْث(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٦٠٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٠٣).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١١/١٣٠).

(٤) زاد المعاد (٣/٧٥٨).

(٥) انظر: لسان العرب (١١/٧٧).

فليس معنى التفل البصق الشديد، وإنما هو نفخ معه قليل من الريق.

وإذا كان الرجل يصلي مع الجماعة فإنه لا يمكنه التفل عن يساره في الغالب، لأنه يؤذي من على يساره، إلا إذا كان هو آخر من في يسار الصف.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**قد يقول قائل: إذا كان الإنسان مع الجماعة فكيف يتفل عن يساره؟ فالجواب: إن كان آخر واحد على اليسار أمكنه أن يتفل عن يساره في غير مسجد، وإلا فليتفل عن يساره في ثوبه في غترته في منديل، فإن لم يتيسر هذا كفى أن يلتفت عن يساره ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**"(١).

وقال أيضاً: "**إذا كان الإنسان في جماعة فماذا يصنع؟ كيف يتفل عن يساره ثلاث مرات؟ نقول: يكفي أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بدون تفل؛ لكي لا تؤذي من حولك**"(٢).

---

(١) فتاوى نور على الدرب (١٢/١٥٥).

(٢) المرجع السابق (٤٥/١٨٥).



عاشراً: الوسوسة في العبادات وخطرها

الوسوسة من مداخل الشيطان على بني آدم، بل هي من أعظم الأسلحة التي عنده لإضلال بني آدم، والشياطين جُعلت لها خاصية حب الأذى وإيصال الضرر للآخرين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠].

وموضوع الوسوسة من المواضيع المهمة التي يحتاجها المسلمون؛ وذلك لعموم البلوى بالوسوسة وكثرة السؤال عنها.

وقد بيَّن أهل العلم خطر الوسوسة وأسبابها وطُرُق علاجها.

أولاً: أنواع الوسوسة في العبادة:

١- في الطهارة:

بعض الناس تجده يمكث طويلاً في الحمام، بحجة أنه يتنظف، ويبالغ في استعمال الماء، وربما يستعمل ماءً يكفي عشرات الأشخاص، فتجد المبالغة والاسراف الذي لا جد له.

وبعضهم إذا أصاب أحد أعضاءه نجاسة يصوِّر له الشيطان أن هناك أماكن أخرى أصابتها النجاسة، فماذا يفعل؟ يغتسل، يغسل كل البدن، مع أنه يكفيه غسل المكان الذي أصابته النجاسة.

وبعضهم ربما اغتسل في اليوم عشرات المرات، وهذا حقيقي ومشاهد.

بعضهم يأتيه الشيطان في صورة من صور الوساوس، يخيِّل إليه أنه قد انتقض وضوؤه، فإذا شعر بحركة في بطنه مثلًا، يقول له الشيطان: انتقض وضوؤك، فيعيد الوضوء مرة

أخرى.

وبعضهم يكثر عليه الشك، فإذا توضأ مثلاً ووصل إلى الرأس، يأتيه الشيطان: ربما نسيت غسل يدك اليمنى، فيعود ويغسلها، ثم يكمل، ثم يأتيه الشيطان مرة أخرى: لعلك قد نسيت المضمضة، فيذهب ويعود مرة ثانية ويتمضمض ويكمل وضوءه.

تجد بعض الموسوسين يقول: إن يدي أصبحت تتقشر من كثرة استعمال الماء.

وكثير ممن ابتلي بالوسواس يشك في طهارة ثيابه، هل أصابها نجاسة أم لا؟ فيغسلها مرات ومرات.

وهذا لا شك باب خطير، يقصد الشيطان منه إفساد العبادة وإبطالها، ويدخل على الإنسان من باب الحرص.

ولو سألت أي مبتلى بالوسوسة: ما الدافع الذي يدفعك لفعل هذا؟ يقول: أخاف على عبادتي ألا تصح، أخاف ألا يقبل وضوئي، لكن هل ما يفعله موافق للشرع؟ بالطبع لا.

٢- في الصلاة:

بعضهم عنده وسواس في النية، فيكرر النية بصورة مبالغ فيها، فيقول: نويت أن أصلي كذا، ثم يعيد مرة أخرى، نويت أن أصلي كذا، مع أن التلفظ بالنية لم يثبت أصلاً عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فإذا نوى ودخل في الصلاة، وقال: الله أكبر، يأتيه الشيطان ويقول: لا، ارجع، كلمة الله أكبر لم تكن جيدة، فيعيد تكبيرة الإحرام ليُسمع نفسه ويتأكد أنه قالها بشكل جيد، ثم يعيدها مرة أخرى لأن الحروف لم تخرج من مخارجها بشكل جيد، وهذا واقع، وليس شيئاً خيالياً.

كم ممن يعانون من الوسواس يبدأون الصلاة وتستمر لساعات، لماذا؟ بسبب

الشكوك في صحة الصلاة، يبدأ بصلاة الظهر فلا ينتهي إلا ودخل العصر، يصبح كل يومهم صلاة، ويهملون باقي الأمور.

وبعضهم يطلب من آخر أن يقف إلى جانبه ليحصي له عدد الركعات، وكم ركوع ركع، وكم سجدة سجد، وهل قام بالصلاة بطريقة صحيحة أم لا؟!

ثانياً: بيان خطر الوسوسة وذم الموسوسين:

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إن طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، وقبِلوا قوله وأطاعوه، ورغبوا عن اتباع رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ **وصحابته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، **أو صلى كصلاته، فوضوؤه باطل، وصلاته غير صحيحة...وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة، وربما فاته الوقت، ويشغله بوسوسته في النية حتى تفوته التكبيرة الأولى، وربما فَوّت عليه رَكعة أو أكثر...وقد بلغ الشيطان منهم أنْ عَذَّبهم في الدنيا والآخرة، وأخرجهم عن اتباع الرسول، وأدخلهم في جملة أهل التنطع والغلو، وهم يحسبون أنهم يُحسِنون صنعًا"**[(١)].

وقال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ولا ينبغي للمؤمن أن يلتفت إلى هذه الوساوس؛ لأن هذا يجرئ عليه الشيطان، والشيطان حريص على إفساد أعمال بني آدم، من صلاة وغيرها. فالواجب الحذر من مكائده ووساوسه، والاتكال على الله"**[(٢)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"واعلم أن الشيطان قد يأتيك عند إرادة عمل الخير، فيقول لك: إنك إنما تعمل هذا رياء، فيحبط همتك ويثبطك ولكن لا تلتفت إلي هذا، ولا تطعه، بل اعمل ولو قال لك: إنك إنما تعمل رياء أو سمعة؛ لأنك لو سئلت: هل أنت الآن تعمل هذا رياء وسمعة؟ لا، إذن فهذا الوسواس الذي أدخله الشيطان في**

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢٣١/١) وما بعدها.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات منوعة (١٢٣/١٠).



قلبك، لا تلتفت له، وافعل لخير؛ ولا تقل: إني أرائي وما أشبه ذلك"(١).

ثالثاً: أسباب الوسوسة:

١- قلة العلم بالشرع:

لأن كثرة العلم تزيل كل ما يطرأ على بال الإنسان وفكره، فيجد علاجاً لكل ما يقلقه ويحزنه، ويجد دواءً لكل الوساوس التي تعرض له، فإذا قل علمه لا يعرف هذا العلاج، قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"مَنْ مَرِضَ قَلْبُهُ بِشُكُوْكٍ وَوَسَاوِسَ لَا تَزُوْلُ إِلاّ بِسُؤَالِ أَهْلِ العِلْمِ، فَلْيَتَعَلَّمْ مِنَ الحَقِّ مَا يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ"**(٢).

فلو أنَّ من أصيب بالوساوس شغل نفسه بالعلم وطلبه، وبذكر الله، لكان خيراً له، فقلة العلم سببٌ من أسباب حصول الوسواس.

٢- ضعف الإيمان:

وضعف الإيمان ينتج عن أمور كثيرة من قلة الأعمال الصالحة، وكثرة المعاصي، فالشيطان يتسلط على أهل المعاصي، بخلاف قوي الإيمان فإن الشيطان يهرب منه، وليس له عليه سبيل، إذاً كثرة الطاعة من أعظم الحصون المنيعة التي تمنع من تسلل إبليس على العبد ووسوسته له.

٣- الاسترسال مع الوساوس:

فالمرء كلما جاءه هاجس أو وسواس فاسترسل معه وانشغل به؛ فإن ذلك يجعل للشيطان مدخلاً عليه، فيلعب به الشيطان ويرديه المهالك.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ،**

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/١٥).

(٢) مسائل في طلب العلم وأقسامه (صـ٢٠٢).



فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ»[١].

فقوله: «**وَلْيَنْتَهِ**» يعني لا يستسلم لهذه الخواطر والوساوس.

فكثير من الناس إذا وسوس له الشيطان يتجاوب مع وسوسته ويمشي معها من غير معرفة لعواقبها وخطورتها، فيتجاوب معها حتى تتمكن منه، فإذا تمكنت منه أصبح من الصعب عليه أن يتخلص منها.

فإذا ما جاءت الوسوسة للمرء عليه ألا يلتفت لها، ولا يلقي لها بالاً، ولا يجعل لها أي اعتبار.

٤- الغفلة عن ذكر الله:

فإن الذكر يطرد الشيطان، ولا يجعل له منفذاً على أحد من البشر، فإذا ترك الإنسان ذكر الله جَلَّجَلَالُهُ جاء إبليس، جاء بخيله ورَجِلِه، ويدخل هذا الحصن الحصين والحرز المنيع التي فتحت أبوابه بسبب الغفلة عن ذكر الله، فالإنسان إذا ذكر الله خنس الشيطان، وإذا غفل جاء الشيطان ووسوس له، فإذا غفل العبد عن ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أصيب بالوسوسة، وهذا من أعظم أسباب الوسوسة، فالعبد في حرز وفي حفظ ما دام ذاكراً لله، فإذا غفل أتى إبليس والحصن مفتوح ودخل عليه عن طريق هذا الداء العظيم، فالواجب على المسلم أن يداوم على ذكر الله في كل حال، يحافظ على أذكار طرفي النهار، والأذكار بعد الصلوات، وأذكار النوم، وأذكار الدخول إلى البيت والخروج من البيت، والأذكار الواردة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ.

رابعاً: علاج الوسوسة:

١- الالتجاء إلى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ:

وذلك بأن يتضرع المبتلى بالوسواس إلى ربه أن يُذهب عنه هذا المرض، وأن يلتجئ إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يخلصه من هذا الوسواس.

---

(١) متفق عليه.



٢- ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

عَـنِ الْحَـارِثِ الْأَشْـعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ نَـبِيَّ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وسـلم قَـالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَـرَ يَحْيَى بْـنَ زَكَـرِيَّا عليهمـا السـلام بِخَمْـسِ كَلِمَـاتٍ، أَنْ يَعْمَـلَ بِهِـنَّ، وَأَنْ يَأْمُـرَ بَـنِي إِسْـرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُـوا بِهِـنَّ**» وقـال في الحـديث: «**وَآمُـرُكُمْ بِـذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَثِـيرًا، وَإِنَّ مَثَـلَ ذَلِـكَ كَمَثَـلِ رَجُـلٍ طَلَبَـهُ الْعَـدُوُّ سِـرَاعًا فِي أَثَـرِهِ، فَـأَتَى حِصْـنًا حَصِـينًا، فَتَحَصَّـنَ فِيـهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»[(١)].

فـذكر الله يطـرد الشـيطان، وبـذكر الله يحصـن العبـد نفسـه، فـإذا ذكـر العبـد اللهَ اختفـى الشيطان وانخنس، وإذا غفل عن ذكر الله تسلط عليه الشيطان.

وأعظـم الـذكر القـرآن، لاسـيما السـور والآيات الـتي دل الـدليل علـى أن لهـا أثـراً في طـرد الشيطان، كـالمعوذتين وآيـة الكرسي وآخـر آيتـين مـن سـورة البقـرة، وكـذلك الأذكـار الثابتـة عـن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ومن ذلك:

حـديث أبي هريـرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقصـته مـع الشـيطان، فقـد جـاء فيـه: "إِذَا أَوَيْـتَ إِلَى فِرَاشِـكَ، فَـاقْرَأْ آيَـةَ الْكُرْسِـيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حَـتَّى تَخْتِمَ الْآيَـةَ، فَإِنَّـكَ لَـنْ يَـزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ"[(٢)].

وعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «**مَـنْ قَـالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ وَلَـهُ الْحَمْـدُ، وَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ فِي يَـوْمٍ مِائَـةَ مَـرَّةٍ كَانَـتْ لَـهُ عَـدْلَ عَشْـرِ رِقَـابٍ، وَكُتِبَـتْ لَـهُ مِائَـةُ حَسَـنَةٍ، وَمُحِيَـتْ عَنْـهُ مِائَـةُ سَـيِّئَةٍ، وَكَانَـتْ لَـهُ حِـرْزًا مِـنَ الشَّـيْطَانِ يَوْمَـهُ ذَلِـكَ حَـتَّى يُمْسِـيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَـدٌ أَفْضَـلَ مِمَّـا جَـاءَ بِـهِ إِلَّا أَحَـدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٠٤/٢٨) برقم (١٧١٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٥٥٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه معلقاً برقم (٢١٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦١٠).

(٣) متفق عليه.



٣- الاستعاذة:

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"نَزْغُ الشَّيْطَانِ: وَسَاوِسُهُ"**(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: **أَيِ اطْلُبِ النَّجَاةَ مِنْ ذَلِكَ بِاللَّهِ. فأمر تعالى أن يدفع الْوَسْوَسَةُ بِالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى. فَلَا يُسْتَعَاذُ مِنَ الْكِلَابِ إِلَّا بِرَبِّ الْكِلَابِ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ لِتِلْمِيذِهِ: مَا تَصْنَعُ بِالشَّيْطَانِ إِذَا سَوَّلَ لَكَ الْخَطَايَا؟ قَالَ: أُجَاهِدُهُ. قَالَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: أُجَاهِدُهُ. قَالَ: فَإِنْ عَادَ؟ قَالَ: أُجَاهِدُهُ. قَالَ: هَذَا يَطُولُ، أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِغَنَمٍ فنبحك كلبها ومنع مِنَ الْعُبُورِ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أُكَابِدُهُ وَأَرُدُّهُ جَهْدِي. قَالَ: هَذَا يَطُولُ عَلَيْكَ، وَلَكِنِ اسْتَغِثْ بِصَاحِبِ الْغَنَمِ يَكُفُّهُ عَنْكَ**"(٢).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ **أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه.** ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ **أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه**"(٣).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(٤).

٤- استحضار القلب والانتباه عند الفعل:

فإن العبد إذا انتبه لفعله وقوله، وعلم أن ما قام به هو المطلوب منه؛ كان ذلك داعياً

---

(١) تفسير القرطبي (٧/٣٤٧).

(٢) المرجع السابق (٧/٣٤٨).

(٣) تفسير السعدي (ص٣١٣).

(٤) متفق عليه.

إلى عدم الوقوع في الوسوسة؛ لأنه على يقين من أمره.

٥- سؤال أهل العلم وحضور مجالسهم:

على من ابتلي بهذه الوساوس ألا يستسلم لها، فكلما تمكنت منه صعب عليه الانفكاك منها، وكلما بادر بالسؤال عنها وكيفية التخلص منها؛ كلما سهل عليه تركها.

فليبادر بسؤال أهل العلم، ممن يثق بعلمه، فإنما شفاء العي السؤال؛ امتثالاً لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حيث يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].



الخاتمة

إن الحرب مع الشيطان طويلة مستمرة إلى يوم القيامة، فعلى المسلم أن يَعُدَّ عُدَّتَه، وأن يجهز سلاحه، وأن يستعد لحربه، ويطهر قلبه، ويلتجئ إلى ربه، حتى يأتي اليوم الذي يخطب فيه الشيطان خطبته على منبر من نار فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

والنصر في هذه المعركة لا يحصل إلا إذا اتبع المسلم أوامر ربه، وانتهى عن نواهيه، ويدمن الطاعات، ويفارق المعاصي، ويحفظ جوارحه مما حرم الله، ويأكل الحلال، وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح، فكان الشيطان يهابهم ويخافهم إذا التقى بأحدهم، وخاصة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان شديداً على نفسه، شديداً في أمر الله، لا يخشى في الله لومة لائم، يبكي من خشية الله، ويقف عند أوامر ربه، فكان الشيطان لا يطيق أن يمر من طريق فيها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»(١).

فعلى المسلم أن يتحصن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أن يداوم على الصلاة، والأذكار، حتى يكون عنده حصن منيع يمنع الشيطان من الاقتراب إليه، ولابد أن يعلم بأن الشيطان ليس له سبيل ولا سلطان على أهل التوحيد والإخلاص، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

فكل خير وسعادة في طاعة الرحمن، وكل شر وشقاء في طاعة الشيطان، قال الحسن البصري رحمه الله: "**إنما هما همَّان يجولان في القلب: هَمٌّ من الله تعالى، وهَمٌّ من العدو،**

---

(١) متفق عليه.

فرحم الله عبداً وقف عند همِّه؛ فما كان من الله تعالى أَمضَاه، وما كان من عَدوِّه جَاهَدَه وتَوَقَّاه"(١).

فلا يخدعنَّك الشيطان فيزين لك المعاصي ويشغلك عن التوبة، فيأتي الموت بغتةً فتكون سوء الخاتمة، نسأل الله السلامة والعافية.

اللهمَّ نَجِّنا من الشَّيطان وهمزه، ووَساوِسه ونزغاته، وآتِ نفوسَنا تَقواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَن زَكَّاها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.



(١) قوت القلوب (١/ ٢٠٠).



جدول المحتويات